

الحلقة الواحدة والثمانون

سفر الأمثال

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. كنا بدأنا قبل فترة بدراسة سفر الأمثال للملك سليمان. وعلمنا أن هدف سفر الأمثال هو تقديم نصائح عملية على شكل أمثال تحمل حقائق أخلاقية، وذلك لكي تعلم الناس كيف يحيون حياة نقيّة وصادقة.

بدأنا قبل عدة لقاءات بالحديث عن الأمثال التي كتبها أجور ابن منقّية مسّا. وفي لقائنا السابق تكلم أجور عن الضرر الناتج من شكوى الآخرين لمسؤوليهم. ثم تحدّث عن أربعة أصناف من الناس، وحذّرنا أن نكون مثلها. كأن نهين والدينا، وننظر لنفوسنا أننا أبرار، ونتكبر على الآخرين ونستغلّهم.

هل تعلم مستمعي ما هي نتائج استهزائك لوالدك وعدم إطاعة والدتك؟ كتب أجور هذا المثل قائلاً: "العين المستهزئة بأبيها والمحتقرة إطاعة أمّها تقوّرهما غربان الوادي وتأكلها فراخ النسر." (أمثال ١٧:٣٠) إن احترام الوالدين وإطاعتهم كانت من الوصايا الهامة التي سنّها الله للشعب في القديم. ولهذا جاءت الوصيّة: "أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض." (خروج ١٢:٢٠) إن الله دعانا لكي نكرم والدينا ونطيعهم، ووعد أنه سيباركنا. لكن إذا فعلنا العكس أي استهزأنا بوالدينا ولم نطعمهما، فإن النتيجة ستكون وبالاً علينا كما سمعنا من المثل، أي نبقى معرّضين كالجثة فريسة للطيور الجارحة.

وكان الله قد سنّ أيضاً في الشريعة قديماً قائلاً: "من ضرب أباه أو أمه يُقتل قتلاً." (خروج ٢١:١٥، ١٧) أي كان قصاص من يضرب والديه أو حتى يشتمهم هو القتل. وهذا يكشف لنا مدى عقاب الله الصارم لكل من يؤذي والديه. وعاد الرسول بولس من رسل المسيحية الأوائل وأكد في العهد الجديد، أهمية وصيّة احترام الوالدين وإطاعتهم. فكتب قائلاً: "أيها الأولاد أطيعوا والديكم في الرب لأن هذا حق. أكرم أباك وأمك التي هي أول وصيّة بوعد. لكي يكون لكم خير وتكونوا طوال الأعمار على الأرض." (الرسالة إلى أفسس ٦:١-٣) إن الوصيّة إذن لم تتغير في العهد الجديد، بل على العكس تثبتت. وكانت أول وصيّة بالوعد بالبركة لمن يسلك بها. فهل تطيع والديك وتحترمهما يا صديقي فنتال البركة؟ أم تراك لا تكثرث بالأمر فتهين والديك وتزدي بهما فتحصد نتائج عملك؟

مستمعي الكريم، كنا ذكرنا في اللقاء الماضي أن أجور تحدّث بأمثال يحتوي كل منها على أربع حالات أو أمور. وتحدثنا في اللقاء الماضي عن أربعة أصناف من الناس. وفي لقاء اليوم سنتأمل بالمزيد من هذه الأربع حالات. فسنتحدّث عن أربعة أشياء لا تشبع.

قال أجور الحكيم: "العلوقة بننان هات هات. ثلاثة لا تشبع. أربعة لا تقول كفا. الهاوية والرحم العقيم، وأرض لا تشبع ماء والنار لا تقول كفا." (أمثال ١٥:٣٠ و١٦) إن العلوقة هي دودة العلق. ودودة العلق لم تكن لتهاجم الإنسان، لكن إذا ما علقت بجسم إنسان فإنها تمتص دماؤه ولا تشبع، أي دائماً تطلب المزيد والمزيد. تحدّث أجور الحكيم في هذا المثل عن ثلاثة أشياء لا تشبع، ورابعة لا تقول كفا.

أولاً: الهاوية أو الموت أو القبر. إن الموت يحصد باستمرار البشر، ويطلب دائماً المزيد والمزيد، ولهذا هو لا يشبع. ولا يفرق الموت بين كبير وصغير، رجل عظيم أو رجل عادي، رجل غني أو رجل فقير.

ثانياً: الرحم العقيم. إن الرحم هو العضو الذي ينمو فيه الجنين. ولهذا يطلب الرحم العقيم المزيد لأنه غير مثمر.

ثالثاً: الأرض التي لا تشبع ماء. إن الأرض بحاجة دائمة إلى الماء لتسقي الزرع وترويه، ولكي ينمو النبات ويثمر. ولهذا إن الأرض لا تشبع من الماء.

رابعاً: النار التي لا تقول كفا. كما هو معروف إن النار تأكل الأخضر واليابس، وتحرق الغابات الشاسعة، وتأتي على البيوت والمعامل، وكل ما يملكه الإنسان من غالٍ ورخيص وأوراق ثمينة، ومن الصعب إيقافها أو إخمادها. لهذا إن النار لا تقول كفى، وخطرها كبير جداً على الإنسان.

لعل السؤال الآن: ماذا قصد أجور الحكيم من هذه التشبيهات؟ وللجواب نقول: إنه أراد أن يلفت إنتباهنا إلى حقيقة هامة: وهي أن سنة الحياة هي عدم الشبع وطلب المزيد. وأن الإنسان ومهما حصل من مال وممتلكات، ومهما لبى من شهوات ورغبات، ومهما تقدّم في الحضارة والعلوم، فإنه لا يشبع. وهذه حقيقة يجدر بكل واحد منا أن يأخذها بعين الاعتبار ويتعلّم منها. ولقد كتب سليمان الحكيم في سفر الجامعة عن هذا الموضوع قائلاً: "كلُّ الكلام يَـقْصُرُ. لا يستطيع الإنسان أن يُخبرَ بالكلِّ. العين لا تشبع من النظر والأذن لا تمتلئ من السمع." (الجامعة ١:٨)

أجل مستمعي، مهما قيل من كلام أمامنا فلن نكتفي، وليس بإمكاننا أن نعرف كل شيء في العالم. ومهما شاهدنا فإن عيوننا لن تشبع من النظر، ومهما سمعنا من معلومات وأخبار فإن آذاننا لن تمتلئ من السمع. فما هو الحل لهذه المعضلة؟ لقد أجابنا المخلص المسيح عندما أكد هذه الحقيقة بقوله للمرأة السامرية: "كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضاً." (بشارة يوحنا ٤: ١٣) أي مهما شرب الإنسان من ماء هذه الحياة المادية وشهواتها وملذاتها، فإنه لن يرتوي أبداً، وسيطلب دائماً المزيد والمزيد.

لكن المخلص المسيح عاد ولفت انتباهنا إلى الحل الصحيح لهذه المشكلة عندما تابع قائلاً: "ولكن من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد. بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية." (بشارة يوحنا ٤: ١٤) إن الإيمان بالمخلص المسيح الذي هو الماء الحي، هو الذي يروي نفوسنا ويشبعها حقاً. وعندما ترتوي نفوسنا بهذا المخلص الفريد، فإننا لن نعطش مرة أخرى، ولن نطلب المزيد أبداً. لأن خلاص الله كامل ونهائي ويستمر إلى الأبد، إذ يهبنا الحياة الأبدية.

هل تعلم مستمعي أن عالمنا المادي سينتهي يوماً ما؟ وأنا جميعاً لابد أن نفارق الحياة؟ وبما أنه من المستحيل أن نرتوي ونشبع من هذا العالم وشهواته، فمن الأفضل لنا أن نلجأ إلى مصدر الحياة الحقيقي، الذي يروي نفوسنا ويشبعها ألا وهو المخلص المسيح. لقد أرسل الله المخلص المسيح لكي يعالج مشكلة فراغ قلوبنا، وعطشنا وجوعنا المستمرين، وليروي نفوسنا العطشى ويشبعها. فهل تراك مستمعي تأتي إلى الله تائباً عن ذنوبك ومؤمناً بالمخلص المسيح؟ وهو الذي مات على الصليب من أجلك ثم قام من بين الأموات غالباً منتصراً؟